عدوانية الصور الابراهيمية

14/05/2010

حالة من الشرود تغزو عقلي، فينتج عنها عطل دماغي عاجز عن القيام بأي عمل أو تركيز، أبحث جاهدة في ترتيب

معطياته لتبوء محاوالتي بالفشل قبل بدئها، أفكر للحظات قليلة عن الداء والدواء، فال أجد إال رغبة جامحة بالتشرد،

.ليتوه عقلي في بعض أالزقة أالنترنيتية، عله يجد ما يبحث عنه

أقرر بدء التجوال في المواقع المتبعثرة على أرصفة أالنترنيت، فلربما أجد ما يشبع ظمأي، فذهني محتاج إلى كوب

من مشروب فكري حر. أنتقل من موقع عربي إلى آخر، فال يصيبني إال االحباط والعزلة، فجميع مشروباتهم الفكرية

مغشوشة بسموم تهدف للقضاء على الفكر والجسد في آن واحد. أصابتني حالة من الغثيان الذهني ألقرر العودة إلى

واقعي الملموس، إال انني في آخر محطة من التنقل الباحث عن بعض قطرات إالنتعاش قبل الرحيل، أجد حانتي

المليئة باألفكار الشابة الهادفة... رابطة شبابية مغربية، تملك من الحماس والجرأة كي تستطيع اجتذاب كل حالم

.بالتغيير

تطالب هذه الجمعية "شباب من أجل فصل الدين عن التعليم" بإلغاء مادة الدين في المدارس مع عقلنة التعليم وتشجيع

البحث العلمي، تأمل في تنظيف المناهج الدراسية من التعاليم الدينية إلنشاء ثقافة احترام االختالفات الفكرية والعقائدية

.بين أألفراد

رعشة ذهنية تغزو عقلي ألنتقل بلمسات خفيفة وسريعة لتصفح صفحات موقعهم، فأشعر باللذة الفكرية. أحتسس

استكشفه للمرة أألولى، لذة تساوي لذة الجسد عند اقتراب ذروة النشوة

.عباراتهم وأفكارهم وكأنني ألمس جسدا

، وألتطرق إلى هذا الموضوع عن طريق

أستيقظ من أفكاري ألنفض أحاسيسي جانبا التجارب العصبية التي قامت

.بدراسة أثر الصور العقلية الالواعية على سلوكيات األلفراد

وضح لنا علم األلعصاب آلية انتقال الصور العقلية المكتسبة من الخارج والنائمة في الوعينا إلى الوعي عند إتاحة

عوامل معينة لها للظهور، خصوصا عند تواجد سلسلة من األلحداث والتجارب المترابطة فيما بينها. فإذا تمعنا في

مدموجة بصور القتل والعقاب. فمثالً الصور العقلية الموجودة في الكتب الدينية، نراها مكونة من عناصر عدوانية نجد

عندما أراد إبراهيم ذبح ابنه فدا ء لإللّه(لنجد أن هذه الصورة قد ترسخت في الوعي))في العهد القديم(صورة الذبح

المؤمنين االبراهيميين، فال يحدون بها أي ضرر أو عنف مادامت عملية الفداء مقدمة لإللّه، حيث ال يرون بها أية

جريمة مرتكبة من قبل إبراهيم تجاه ابنه)بغض النظر عن صحة هذه األلسطورة أو عدمها(. فالمؤمن يجد في هذه

إلهيا

الصورة كرما لإللّه. بينما لو تمعنا بشكل أدق في

بشريا

واخالصا صورة الفداء والذبح، وتحررنا من مفهمومها

.المنغرس في عقولنا، سنراها تعبر عن جريمة بشعة ترتكب بحق البراءة والطفولة

هذه الصور المحللة لقتل آلخر مهما كانت مكانته إلرضاء اإللّه تدفعنا إلى ممارسة العنف والكراهية ألي فرد ال

يتوافق معنا، فليس من الغريب أن نجد المجاهدين في سبيل هللا يستخدمون نفس أألسلوب اإلبراهيمي لعقاب من يختلف

.عنهم

صورة عدوانية متأصلة في أعماق أي مؤمن، جاهزة للظهور واإلعالن عن نفسها عند وجود أية فرصة نفسية

وخارجية مالئمة لها. هذ النظرة التي ال توافق أبدا نظرتنا اإلنسانية لألمور في عصرنا الحالي، فخطورتها تكمن على

، كما هو الحال عند بعض الجماعات السلف :صعيدين

كما حصل لنجار عام الف تسعمائة وسبعة

جماعيا ية، أو فرديا

بالمطرقة على

وتسعون، عند استيقاظه من النوم ليركض إلى غرفة طفله الرضيع ذو آألربعة أشهر، لينهال ضربا

.رأسه ظنا صوت اإللّه المطالب له بإعادة عملية الفداء كما حصل مع إبراهيم منه بسماعه

قام اختصاصي أألعصاب برسينجر بدراسة بعض الحاالت الهجومية الناتجة عن صور عقلية باطنية، ليجد أن الصور

الدينية المليئة بالعقاب والموت، والتي منه بأنه صوت إله

تسيطر على عقلية المؤمن من خالل صوت داخلي واه ظنا

آت من ماوراء السماوات والنجوم، حيث فسر برسينجر الصور الدينية على انها انعكاس لتجارب سمعية، بصرية، حركية وشمية صادرة عن الفص الصدغي، فرسوخها يقترن بسرعة ارسال الفص الدماغي للتجارب إلى باقي أجزاء

.الدماغ

هذه الصور المسجلة والمختزنة في الذاكرة تتداخل مع "أألنا" الفردية لتشكل هوة ما بين إإلدراك الداخلي والواقع

الخارجي، ليبدأ العجز عن فهم كل ما يتجاوز الصور الدفينة في أألعماق. تتكمن الخطورة القصوى لهذه الحاالت عند

اجتياحها العقول بشكل جماعي، ليصبح الخطاب التهديدي والتعنيفي أفضل أسلوب لمعاملة آآلخر إن كان على مستوى

من العجب أبدا فراد والجماعات التي تتأصل في الدولة أو المدرسة أو أألسرة. فليس أن نرى ضيق أألفق عند أأل

.عقولها الصور العدوانية، فال خطاب وال سلوكيات إإل ضمن خط واحد ال يترنح وال يتحول

إنها ثقافة غسل أألدمغة لتلقين االستبداد على كافة أألصعدة. من هنا ال يسعني إإل أن أضم صوتي إلى صوت رابطة

آملة أن أوسع في كافة المجتمعات العربية ""شباب من أجل فصل الدين عن التعليم

جديدة وانتشارا

تكتسب أصواتا

".والدينية على حد سواء، ألردد شعارها "ال تلوني، دعني أختار بنفسي